يا طالب العلم أقبل

تاليف

أبي عبيدة

أسامة بن محمد الجمال

الناشر

دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع

الإسكندرية ـ ت ٠٥٤٩٦١٠٧٠

من مرفوعات

مثنى النعيمي

اسكنه الله ووالديه الفردوس الأعلى

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع	٩٨٠٨ / ٢٠٠٤

يا طالب العلم أقبل

تأليف

أبي عبيدة

أسامة بن محمد الجمال

الناشر

دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع

الإسكندرية - ت: ٥٤٩٦١٠٧

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل رب زدني علما

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ

دار العقيدة

طبع * نشر * توزيع

رقم الإيداع: ١٥٥٣ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولي: 977 - 347- 090 - 3

دار العقيدة

الإسكندرية: ١٠١ ش الفتح باكوس ت: ٠٣/٥٧٤٧٢٢١ ف: ٠٣/٥٧٦٥٦٢١

القاهرة: ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر ت: ٠٠٢٠٢/٥١٤٣١٧٤

E-mail: dar_alakida@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شيد منار الدين وأعلامه، وأوضح للخلق شرائعه وأحكامه، وختم الدعوة بنبينا محمد ﷺ، وفضله على من سبق من الأولين والآخرين، وجعل شريعته مؤيدة إلى يوم الدين، ووكل بحفظها من الصحابة والتابعين من تقوم به الحجة، وترتفع بقوله الشبهة: وهم العلماء الذين ألزمهم حراسة شريعته، والتفقه في دينه.

أما بعد:

لا يخفى على أحد ما تعيشه الأمة في هذه الفترة من صحوة إسلامية، بعد طول نوم عشش خلاله ظلام الجهل والبدع ـ حتى عم أكثر الناس ـ، ولما كان لا يصلح شأن هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وجب الرجوع إلى الكتاب والسنة

مصدر التشريع للأمة الإسلامية، ولا سبيل إلى ذلك إلا بطلب العلم والجد في تحصيله، ولما رأيت أن الهمم قد نامت وتقاعست عن طلب العلم، أحببت أن أوقظ تلك الهمم من سباتها، وأقدم لها ما يدفعها لتحصيل العلم الشرعي.

فقرأت ما كتبه علماؤنا رحمهم الله عن العلم وفضله، والحث على تحصيله؛ فوجدت مادة غزيرة اقتطفت منها بعض الثمار اليانعة من قولهم، وربطت بينها بعبارات قصيرة، فأخرجتها في قالب واحد كحبات لؤلؤ قد شكت في خيط من ذهب، ووضعتها في رسالة (يا طالب العلم أقبل)، لأحث نفسي وإخواني على طلب العلم الشرعي والتحمس له، ولأحيي بأخبار سلفنا الصالح موات قلوبنا.

وأسأل الله أن يجعلنا للخير وصافين، وبه عاملين وموصوفين؛ وأسأله سبحانه أن يخرج لهذه الأمة العلماء الربانيين الصادقين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فضل العلم الشرعي وشرفه

العقل دليل الخير، والعلم مصباح العقل، وهو جلاء القلب من صدئ الجهل، وهو أقنع جليس، وأسر عشير، وأفضل صاحب وقرين، وأزكى عقدة، وأربح تجارة، وأنفع مكسب، وأحصن كهف، وأفضل ما اقتني للدنيا، واستطهر به للآخرة، واعتصم به من الذنوب، وسكنت إليه القلوب، يزيد في شرف الشريف، ورفعة الرفيع، وقدر الوضيع، أُنسٌ في الوحشة، وأمنٌ عند الشدة، ودالٌ على طاعة الله تعالى، وناهٍ عن معصيته، وقائدٌ إلى رضوانه، ووسيلةٌ إلى رحمته.

استشهد الرب جل وعلا أهل العلم الربانيين على أجل مشهود، وأعظم حقيقة، ألا وهي توحيد الله وإفراده دون سواه بالألوهية، فقال تعالى: ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ** ﴾[1]. ووجه الدلالة من الآية على

(١) آل عمران: ١٨.

شوف العلم وفضله من ثلاثة وجوه، قررها ابن القيم رحمه الله بقوله:

أولهـا : أن الله تعالى استشهـد العلماء دون غيرهم من سائر البشر؛ وهذا دليل فضلهم.

وثانيـها : أن الله قرن شهادة العلماء بتوحيد الله وانفراده بالألوهية بشهادته جل وعلا لنفسه بهذا الأمر.

وثالثـهـا : أن في ضمن هذا الاستشهاد تزكيـة للعلماء وتعديلاً لهم؛ لأن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول [1].

أمر الرب تبارك وتعالى رسـوله محمدًا ﷺ أن يدعوه ويسأله أن يزيده من العلم النافع، فقـال تعالى لنبيه: ﴿**وَقُـل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [2]. فتأمل كيف أن المولى جل وعلا لم يأمره بالدعاء والازدياد من أي شيء سوى الـعلم الشرعي؛ وما ذلك إلا لفضل العلم وشرفه، ورفعة قدره عند الرب تبارك وتعالى.

---

(١) مفتاح دار السعادة.

(٢) طه: ١١٤.

أمر الرب تبارك وتعالى الناس بالرجوع إلى أهل العلم، وسؤالهم عما أشكل عليهم من أمور دينهم، وجعل ذلك فرضًا واجبًا يأثم تاركه، فقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[1].

ولأجل شرف العلم وفضله أباح الله لنا أكل الصيد الذي اصطاده الكلب المعلم، وحرم علينا أكل ما صاده الكلب غير المعلم، وهذا دليل على أن البهائم والعجماوات تتفاضل بالعلم، فكيف الحال ببني آدم؟! قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾[2]. فتأمل كيف أنه لولا فضل العلم وشرفه لكان صيد الكلب المعلم والجاهل سواء؟

ومما يدل على شرف العلم الشرعي قول النبي محمد ﷺ: «تجدون الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في

(١) النحل: ٤٣.
(٢) المائدة: ٤.

الإسلام خيارهم في الجاهلية إذا فقهوا»[1] .

قال رسول الله ﷺ: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[2]. فتبليغ العلم أمر يحبه الرسول ﷺ، وكفى بذلك دلالة على شرف العلم الشرعي وفضله.

قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[3].

قال رسول الله ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواءً فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواءً فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواءً فأقدمهم سنًا»[4] . وما أجمل قول ابن القيم رحمه الله على هذا

(١) متفق عليه. (صحيح الجامع ٢٩١٦).

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه. (صحيح الجامع ٧٩٣).

(٤) رواه مسلم.

الحديث: «فقدم ﷺ في الإمامة فضيلة العلم على تقدم الإسلام والهجرة، ولما كان العلم بالقرآن أفضل من العلم بالسنة ـ لشرف معلومه على معلوم السنة ـ قدم العلم به، وهذا يدل على شرف العلم وفضله، وأن أهل العلم هم أهل التقدم إلى المراتب الدينية»[1].

وهذا العلم هو ميراث النبي محمد ﷺ؛ وقد روى الخطيب البغدادي رحمه الله: «أن أعرابيًا مر وابن مسعود رضي الله عنه يحدث طلابه، وهم حوله مجتمعون، فقال الأعرابي: علام اجتمع هؤلاء؟! فقال ابن مسعود: على ميراث محمد ﷺ يقتسمونه بينهم»[2].

قال سفيان الثوري رحمه الله: «ما أعرف شيئًا أفضل من طلب الحديث؛ إذا أريد به الله»[3].

(١) مفتاح دار السعادة.

(٢) شرف أصحاب الحديث.

(٣) تهذيب تاريخ دمشق.

قال الزهري رحمه الله: «ما عُبِد الله بشيء أفضل من العلم»[1].

قال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يثبط عن طلب العلم إلا جاهل»[2].

واستمع إلى هذه المناظرة الطريفة بين العلم والعقل:

علم العليم وعقل العاقل اختلفا
من ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا
فالعلم قال أنا أحرزت غايته
والعقل قال أنا الرحمن بي عُرفا
فأفصح العلم إفصاحًا وقال له
بأينا الرحمن في فرقانه اتصفا
فبان للعقل أن العلم سيده
فقبل العقلُ رأسَ العلم وانصرفا

(١) البداية والنهاية.

(٢) غذاء الألباب.

أهمية العلم الشرعي

العلم الشرعي عاصم من الضلال والانحراف، والعمل على غير بصيرة.

قال الإمام أحمد رحمه الله: «الناس إلى العلم أحوج إليه من الطعام والشراب؛ وذلك لأن الرجل قد يحتاج إلى الطعام والشراب مرة أو مرتين، أما حاجته للعلم فهي بعدد أنفاسه»[1].

قال الحسن البصري رحمه الله: «لولا العلماء لصار الناس كالبهائم»[2].

واستمع إلى الإمام ابن القيم رحمه الله وهو يحدثك عن أهمية العلم الشرعي وضرورته للخلق، فيقول: «والإنسان إنما

---

(١) مدارج السالكين.

(٢) مختصر منهاج القاصدين.

يتميز عن غيره من الحيوانات بفضيلة العلم والبيان، وإلا فغيره من الدواب والسباع أكثر أكلاً منه، وأقوى بطشًا، وأكثر جِماعًا وأولادًا، وأطول أعمارًا، وإنما مُيز على الدواب والحيوانات بعلمه وبيانه، فإذا عُدم العلم بقي معه القدر المشترك بينه وبين سائر الدواب، وهي الحيوانية المحضة، فلا يبقى فيه فضل عليهم، بل قد يبقى شرًا منهم؛ والمقصود أن الإنسان إذا لم يكن له علم بما يصلحه في معاشه ومعاده كان الحيوان البهيم خيرًا منه، لسلامته في المعاد مما يهلكه دون الإنسان الجاهل»[1].

«إن العلم حاكم على ماسواه، ولا يحكم عليه شيء، فكل شيء اختلف في وجوده وعدمه، وصحته وفساده، ومنفعته ومضرته، ورجحانه ونقصانه وكماله، ومدحه وذمه، ومرتبته في الخير، وجودته ورداءته، وقربه وبعده، وإفضائه إلى مطلوب كذا وعدم إفضائه، وحصول المقصود به وعدم حصوله، إلى سائر جهات المعلومات، فإن العلم حاكم على ذلك كله»[2].

(١) مفتاح دار السعادة.

(٢) المصدر السابق.

اعلم أن العلم إمـام العمل وقـائد له، والعـمل تابع له ومؤتم به، فكل عمل لا يكون خلف العلم مقتـديًا به فهو غير نافع لصاحـبه، بل مضـرةٌ عليه، كمـا قال بعض السلف: من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

اعلم أن العامـل بلا علم كالسائر بلا دلـيل، ومعلوم أن عطب مثل هذا أقرب من سـلامتـه اتفـاقًا، فـهو غير محمود، بل مـذمـوم عند الـعقـلاء، وكـان شـيخ الإسـلام ابن تيمـيـة رحمه الله يقول: «من فـارق الدليل ضل السبيل، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول ﷺ».

اعلم أن العلم الشرعي سبب لحـصول اليقين والطمأنينة في القلب.

اعلم أن العلم الشرعي هو زاد الداعية إلى الله، فلا دعوة بلا علم.

معرفة ما العلم النافع

وضوح الطريق، وصفاء المنهج، وتمايز المفاهيم، وتحديد المعايير والضوابط قضية مهمة جدًا لكل سالك في أي طريق من الطرق؛ وعلى ذلك فإنه ينبغي لطالب العلم الصادق أن يعرف ما العلم الشرعي النافع الذي يوصله إلى خشية الله ومراقبته التي هي رأس العلم؟ لأننا في زمن اختلطت فيه المفاهيم، والتبست فيه المعايير، وتشعبت وتعددت فيه الطرق والمناهج، فكان لزامًا بيان الوجهة الصحيحة، وتحديد الهدف، وتصحيح المفاهيم المغلوطة اعتمادًا على النبع الصافي والمنهل العذب ألا وهو كتاب الله تعالى، وسنة رسوله محمد ﷺ، ومنهج السلف الصالح، حتى تسير القافلة العلمية الشرعية على بصيرة ونور من ربها تعالى، فإليك البيان والتوضيح:

قال ابن الجوزي رحمه الله مبينًا حقيقة العلم النافع بأنه: «متى ما حصل أوجب معرفة المعبود عز وجل، وحرك إلى

فيُوجب ذلك لمن علمهُ المسارعة إلى ما فيه محبة الله ورضاه، والتباعد عما يكرهه ويسخطه، فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم نافع، ومتى كان العلم نافعًا، ووقر في القلب فقد خشع القلب لله وانكسر له، وقنعت النفس بيسير الحلال من الدنيا وشبعت به، فأوجب لها ذلك القناعة والزهد في الدنيا»[1].

قال حماد بن زيد رحمه الله: «قلت لأيوب السختياني: العلم اليوم أكثر أو فيما تقدم؟ فقال: الكلام اليوم أكثر، والعلم فيما تقدم أكثر. ففرق هذا الراسخ بين العلم والكلام؛ فالكتب كثيرة جدًا، والكلام والجدال والمقدرات الذهنية كثيرة، والعلم بمعزل عن أكثرها ـ وهو ما جاءت به السنة ـ وأكثر ما عند الناس كلام وآراء وظنون؛ والعلم من وراء الكلام»[2].

قال عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله: «قلت لأبي: هل كان معروف الكرخي معه شيء من العلم؟ فقال لي:

(١) فضل علم السلف على علم الخلف.

(٢) الفوائد.

يا بني: كان معه رأس العلم خشية الله»[1].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «أعلى الهمم في طلب العلم طلب علم كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، والفهم عن الله ورسوله ﷺ نفس المراد، وعلم حدود المُنزل»[2].

ويلخص لنا ابن رجب رحمه الله العلم النافع بقوله: «فأفضل العلم العلم بالله الذي يُوجب خشيته ومحبته، والقرب منه والأنس به، والشوق إليه، ثم يتلوه العلم بأحكام الله، وما يحبه ويرضاه من العبد من قول أو عمل أو حال أو اعتقاد، فمن تحقق بهذين العلمين كان علمه علمًا نافعًا، وحصل له العلم النافع، والقلب الخاشع، والنفس القانعة، والدعاء المسموع»[3].

❑ ❑ ❑

(١) فضل علم السلف على علم الخلف.

(٢) الفوائد.

(٣) فضل علم السلف على علم الخلف.

حكم طلب العلم الشرعي

طلب العلم الشرعي ليس في كل الأحوال أمرًا مستحبًا مندوبًا إليه ـ يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه ـ وفقط، بل هناك أحوال كثيرة يكون طلب العلم الشرعي فيها أمرًا واجبًا وجوبًا عينيًا على كل فرد مسلم، ويأثم المرء بترك القيام بهذا الفرض العيني، كما قال رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[1].

وفي أحوال أخرى يكون طلب العلم الشرعي واجبًا كفائيًا ـ يجب على الأمة في مجموعها ـ فلو لم تقم به الأمة، أو قام به من لا تحصل بهم الكفاية أثمت الأمة جميعها؛ ومادام الأمر كذلك، فلابد من معرفة حد وضابط العلم الشرعي الذي

(١) صحيح. رواه الطبراني في الأوسط. (صحيح الجامع ٣٩١٣).

يجب على المرء تعلمه وجوبًا عينيًا أو كفائيًا.

قال ابن القيم رحمه الله: «أنواع العلم الواجب تعلمه أربعة منها:

النوع الأول: أصول الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

النوع الثاني: علم شرائع الإسلام واللازم منها كعلم الوضوء والصلاة والصيام والحج والزكاة وتوابعها وشروطها ومبطلاتها.

النوع الثالث: علم المحرمات الخمسة التي اتفقت عليها الرسل والشرائع والكتب الإلهية، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[1]. فهذه محرمات على كل

(١) الأعراف: ٣٢.